تأثير المستشرقين على القرآنيين في قضيَّة تدوين السُّنَّة النَّبويَّة- عـرضاً ونقـداً

ID No. 469

(PP 67 - 76)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.2.4

عبدالوهاب غفور كريم

كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين-أربيل

abdulwahab.kareem@su.edu.krd

لقمان صمد خضر

كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين-أربيل

luqman.khudhur@su.edu.krd

الاستلام : 2022/08/07

القــبول : 2022/09/25

النـــشر : 2023/04/17

ملخص

تناولت هذه الدِّراسة قضية غاية في الأهمية وهي قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة، وركّزت الدِّراسة على موقف المستشرقين وتيار القرآنيين في هذه القضيَّة، ومدى تأثر القرآنيين بآراء وأقوال المستشرقين حول تدوين السُّنَّة النَّبويَّة، وأسباب تأخّر تدوين السنة ونتائجه عندهم. لقد تباينت آراء المستشرقين في هذه المسألة ولكنهم اتفقوا في المجمل على تأخر تدوين السُّنَّة النَّبويَّة، إلى ما بعد القرن الأول أو إلى ما بعد منتصف القرن الثاني، ووافقهم في ذلك جلّ القرآنيين وردّدوا آرائهم واطروحاتهم في هذه القضيَّة بدون الرّجوع إلى المصادر المختصّة لمعرفة حقيقة هذه القضيَّة ومدلولاتها واشكاليتها ومعرفة حقيقتها، متأثرين ومعتمدين على آراء المستشرقين في هذه المسألة. لقد استند المستشرقون والقرآنيون على هذه القضيَّة وجعلوها مدخلاً واسعاً للطّعن في حجية السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي وشكّكوا في مصداقيتها وأمانة نقلتها.

الكلمات المفتاحية: تأثير ، المستشرقون، القرآنيون، التَّدوين، السُّنَّة النَّبويَّة.

1. المقدّمة

من القضايا التي ركّزت عليها الباحثون المعاصرون بالرغم من اتجاهاتهم المختلفة هي قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة ، وكثر حولها الآراء والأقوال مابين مشكّكٍ في التَّدوين المبكّر للسّنة ومدافع عن تدوينها في القرن الأول وما بعده .

لقد تطرق المستشرقون إلى هذه القضيَّة وشكّكوا في تدوين السُّنَّة النَّبويَّة في زمن مبكّر ويرون بأنَّ السنة بقيتْ أكثر من قرنين من دون كتابة وتدوين ، وبالتالي دخل فيها الوضع والدَّس ، وبَنَوا على قولهم بتأخّر تدوين السنّة الطّعن في مصداقيتها وحجيتها، وقالوا لو كانت السنة حجةً ومصدراً من مصادر الشريعة لأمر الرَّسول بكتابتها وتدوينها وحفظها كما هو الحال مع القرآن الكريم.

وبعد ظهور تيار القرآنيين في بلاد الهند وفي العالم الإسلامي بدءوا بإثارة هذه الشُّبهة من جديد متأثرين بآراء وكتابات المستشرقين حول هذه القضيَّة، وجعلوا من هذه المسألة باباً ومدخلاً للطّعن في السنَّة وردّها ، لذا سنركز على هذه القضيَّة وبيان تأثر القرآنيين بآراء المستشرقين وتقليدهم في هذه المسألة ، مع الرَّد عليهم ، وبيان الصّواب في هذه القضيَّة.

1.2. أهمِّيَّة الموضوع

تكمن أهميّة هذا الموضوع في أنّه يتطرق إلى قضيّة حسّاسة تتعلق نتائجها بحجية السُّنَّة النَّبويَّة ومدى حفظها ومصداقيتها ، وهي قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة في القرن الأول وما بعده على يد الصَّحابة والتّابعين وأئمة المسلمين ، والرّد على الطّاعنين في التَّدوين المبكّر للسّنّة النَّبويّة وخاصة المستشرقين والقرآنيين .

1.3. أسباب الإختيار

دفعنا أسباب عديدة إلى اختيار هذا الموضوع للكتابة والبحث فيه ، ومن أهمّها : بيان مكانة السُّنَّة النَّبويَّة وحجيتها وبيان تدوينها في صدر الإسلام ، ومن الأسباب أيضاً بيان الأثر الاستشراقي على تيار القرآنيين في طرحهم واثارتهم لهذه الشبهة بشكل جلّي .

شعوراً منا بمسؤولية وجوب الذب عن سنة المصطفى--عليه الصلاة والسلام- قمنا بدراسة هذه القضيَّة للوقوف على حقيقتها ودحض شبهات المستشرقين والقرآنيين .

1.4. 1.4. مشكلة الدِّراسة

وتمكن مشكلة هذه الدراسة في تتبع آراء المستشرقين والقرآنيين حول قضيَّة كتابة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها ، ويتَّضح المشكلة من خلال مناقشة وطرح هذه الأسئلة:

1- هل أذن الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- بكتابة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها في حياته المباركة، وهل كتب أحد من الصَّحابة شيئاً من الأحاديث النَّبويَّة ؟

2- كيفية تعامل المستشرقين مع هذه القضيّة وطريقتهم في طرحها وتحليلها ، وتأثير آرائهم وأطروحاتهم على القرآنيين ؟

3- بيان المنهج الصَّحيح للتَّعامل مع هذه القضيَّة والتَّعرّف على آلية توثيق السُّنَّة النَّبويَّة وطرق روايتها وحفظها ؟

1.5. منهج الدِّراسة

اعتمد الباحثان في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي ؛ إذْ قاما بتتبُّع آراء المستشرقين الذين تحدثوا عن قضيَّة تأخر تدوين السُّنَّة النَّبويَّة وبيان حججهم وآرائهم ، وكذلك جمع واستقراء أقوال أبرز القرآنيين في هذه القضيَّة مع ذكر أدلتهم التي يعتمدون عليها ، ومن ثمّ تحليل آراء كلا الفريقين وبيان أوجه تأثر القرآنيين بما طرحه المستشرقون وذكروه.

1.6. الدِّراسات السَّابقة

لقد تطرق علماء المسلمين وباحثيهم إلى قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة وبيان ما انطوى عليه هذه المسألة من شبهات مثارة من قبل الطاعنين في السُّنَّة النَّبويَّة قديماً وحديثاً ، ولكن هذه الدراسات قد درست هذه القضيَّة بشكل عام ولم نعثر على دراسة خاصة ببيان تأثر القرآنيين بالمستشرقين في قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة ، ومن أهم هذه الدراسات أطروحة الدكتور حاكم المطيري بعنوان: تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين" ، وكتاب "تدوين السُّنَّة النَّبويَّة نشأتـه وتطـوره من القرن الأول حتى نهاية القرن التاسع" للدكتور محمد بن مطر الزهراني ، وكتاب "تدوين الحديث" للعلامة السيد مناظر أحسن الكيلاني ، وكتاب "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" للدكتور محمد مصطفى الأعظمي . وكما ذكرنا فإنّ الفرق بين هذه الكتب والدراسات مع دراستنا تتمثل في أنَّ دراستنا تتركز حول بيان العلاقة بين المستشرقين والقرآنيين ومدى تأثرهم بآراء المستشرقين في هذه القضيَّة .

2. الأثر الاستشراقي على القرآنيين في قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة

1.2. موقف المستشرقين وآرائهم في قضيَّة تدوين السُّنَّة النَّبويَّة

درس المستشرقون القضايا المتعلّقة بالسُّنَّة النَّبويَّة وركّزوا على بعض المسائل المعيَّنة فيها لتوجيه طعونهم وشبهاتهم حول القيمة العلميَّة والتَّشريعيَّة لها ، ومن بين هذه المسائل مسألة كتابة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها ، ولقد تحدَّث المستشرقون كثيراً عن هذه القضيَّة سواء من ناحية نفي تدوينها مطلقاً ، والتَّأكيد على على انتقالها مشافهةً فقط ، أو روايتها عن طريق المعنى ، أو تأخّر تدوينها ، والتَّفاوت الزَّمني في هذا التأخّر ، وتنوع الأسباب التي دفعت إلى هذا التَّدوين .

تعددت آراء وأقوال المستشرقين حول قضيَّة التَّدوين ، فذهب المستشرق "وليم موير" إلى أنّه لا توجد مجموعة كتابيَّة للسُّنَّة النَّبويَّة موثوقة قبل منتصف القرن الثَّاني الهجري (الأعظمي ، 1980، 72/1)، فهو يرى بأنَّ كتابة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها تأخّرت إلى ما يقارب مأة وخمسين سنة ، وبالتالي أصبحت قضيّة التَّحريف ووضع الأحاديث لتأييد الفرق الكلاميّة والمذاهب الفقهيّة أمراً سهلاً وباباً مفتوحاً لرؤساء وأتباع هذه الفرق والأحزاب . وهذا القول مردود ؛ لأنَّ عدداً هائلاً من المخطوطات الإسلاميَّة لم تحقّق ولم تطبع إلى حدّ الآن ، وهذا يقتضي عدم الجزم بنفي وجود مجموعة كتابية للسُّنَّة النَّبويَّة قبل منتصف القرن الثاني الهجري ، ولا يخفى بأنَّ التراث الإسلامي ومخطوطاته ناله الضّياع والإحراق في كثير من البلدان الإسلامية وخّاصة في القرن الخامس الهجري في الشام ، وفي القرن السابع في مناطق آسيا الوسطى وبغداد ، وفي القرن التاسع في الأندلس ، فلربما ضاع مع هذا التراث والمخطوطات كتب مدّونة في الحديث النَّبويّ الشَّريف (المطيري، 2002، 112) .

لقد كان للمستشرق إجناس جولدتسيهر رأياً آخر فقد عقد فصلاً خاصاً حول تدوين وكتابة السُّنَّة النَّبويَّة في كتابـه " دراسات محمدية " ذكر فيه عدة أدلة على كتابة وتدوين الحديث في بداية القرن الثاني الهجري ، وأشار إلى بعض الصُّحف التي كتبت في عهد النَّبي –عليه الصلاة والسلام- ، ولكنه أحاطها بكثير من التَّشكيك في أمرها ، والرّيبة في صحَّتها . ويهدف من وراء هذا التشكيك إلى أمرين ، أولاً: إضعاف الثِّـقة باستظهار السُّنَّة وحفظها في الصدور ، لتعويل النّاس في القرن الهجري الثاني على الكتابة ، والثاني: وَصْم السُّنَّة كلِّها بالوضع والاختلاق (الصالح، 1984، 34) .

يرى المستشرق جوزيف شاخت أنَّ الأحاديث الفقهية قد وضعت للتداول بين النّاس منذ منتصف القرن الثاني وما بعده ، وأنّه من الصُّعوبة عدّ شيء منها صحيحاً ، وأنّه تمرّ اختلاقها وتركيب أسانيد مختلفة لها . فيقول : " أما حركة المحدِّثين في القرن الثاني ، فهي في الواقع نتيجة طبيعية لاستمرار حركة المعارضة للمدارس الفقهية القديمة ، والتي كانت متأثرة بالدين والأخلاق ... والفكرة الرئيسة التي كانت عند المحدِّثين ، أنّ الأحاديث - المأخوذة عن النَّبي - يجب أنْ تغلب على سنن المدارس الفقهية ، ولهذا الغرض اخترع المحدِّثون بيانات مفصلة أو أحاديث ، وادّعوا أنها مـن مرئيات أو مـن مسموعات أقوال النَّبي –صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وتقريراته ، وأنّها وصلت إلينا شفهياً بأسانيد غير منقطعة وعن طريق رواة موثوقين ، ومن الصُّعوبة بمكان أنْ نعتبر أي حديث منها خاصةً فيما يتعلق بالأحاديث الفقهية صحيحاً موثوقاً به " (الخليفة، 1997، 74) .

لقد كان آلاف الصَّحابة مع النَّبي –صلى الله عليه وسلم- وعاشوا بين يديه ، وتعلّموا منه أمور العقيدة والشريعة وأمور السِّياسة ومبادئ الأخلاق، وكان الرَّسول –عليه الصلاة والسلام- لهم قاضياً وحاكماً وقائداً ومفتياً ومربياً ومعلماً ، وكان الصَّحابة الكرام يطيعونه طاعة خالصة ويعزرونه ويقرونه غاية التَّعزير والتَّوقير ، وانتشر مئات بل آلاف الصَّحابة الكرام في كل البلدان والأقاليم يُعلِّمون النّاس الإسلام ويدعون غير المسلمين إلى دين الله . وتمكنوا خلالها نشر الإسلام في كل مكان وصلوا إليه . كما تعلّم وتخرَّج على أيديهم آلاف التّابعين ، وبقي على قيد الحياة كثير من تلاميذ الصَّحابة إلى ما بعد نصف القرن الثاني ، فكيف لا يتصور - والحال هذه - أنْ يحفظ آلاف الصَّحابة شيئاً من أحاديث النَّبي الفقهيَّة التي يحتاجونها ويطبقونها يومياً في جميع شؤون حياتهم من صلاة وزكاة وصيام ونكاح وتجارة وقضاء وميراث... إلخ ؟ ! . وكيف لا يستطيع أتباع الصَّحابة أنْ يحفظوا ويأخذوا عنهم شيئاً من هذه الأحاديث النبوية وعددهم مئات الآلاف ممَن كانوا يصلون ويجتمعون مع الصَّحابة خمس مرات يومياً في آلاف المساجد المنتشرة في جميع البلدان والمدن الإسلامية !.

إذن فمِن غير المعقول بل ومن المستحيل عدم وجود أيّ أحاديث صحيحة النسبة إلى الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- وخاصّة في مجال الفقه الإسلامي ، إلاّ إذا افترضنا أنّه –عليه الصّلاة والسّلام- لم يصدر عنه أيّ حكم فقهي أو تشريع إسلامي ولم يقض في أيّ قضية طوال فترة النُّبوة وهي ثلاث وعشرون سنة كان يجتمع فيها مع الصَّحابة كل يوم خمس مرات ؟!.

ومن جانبه يرى المستشرق روبسون أنّ الأسانيد تمرّ وضعها واختلاقها في القرن الثاني الهجري ، وتمرّ تركيبها لأحاديث مختلفة ، ونُسبت لشخصيات ومراجع أعلى لترويجها وقبولها بين النّاس (المطيري، 2002، 111).

فهذا الرأي يفترض أنّ بداية الإسناد يرجع إلى القرن الثاني الهجري ، ويفترض أنّ عدم وجود الإسناد لحديث من الأحاديث يقتضي عدم صحته قطعاً ، وكذلك يفترض أنّه لم تكن هناك إلتزام بالأمانة العلميَّة عند جميع العلماء والمحدِّثين والفقهاء والمؤرخين في القرن الثاني ، فكان كل مَن أراد أنْ يحتج أو يدعم رأيه يختلقُ حديثاً ، ويلفق إسناداً لهذا الحديث المختَلَق من أجل دعم وتقوية رأيه ووجهة نظره ؟!.

وكل هذه الافتراضات التي وضعها روبسون غير صحيحة ولم يتطرق إليها أحد من المؤرخين والعلماء الذين عاصروا تلك الفترة الزَّمنية ، بل على عكس هذه الافتراضات فقد ثبت بالأدلة الصحيحة أنّ بعضاً من الصَّحابة الكرام كانوا يكتبون أحاديث الرَّسول وكان لهم صحف ومدونات خاصة بهم حتى في حياة النَّبي –صلى الله عليه وسلم- كما سنبيّن ذلك في الصفحات القادمة .

يتبيَّن لنا ممَّا سبق أنَّ المستشرقين شكَّكوا في كتابة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها ، واختلفوا في تحديد بداية كتابتها ، فمنهم من يرى أنَّها بقيت مأة سنة من دون كتابة وتدوين ، وذهب مولم موير إلى أنَّه لا توجد مجموعة كتابيّة معتمدة وموثوقة للسُّنَّة قبل منتصف القرن الثاني الهجري ، واعتبر جوزيف شاخت أنَّ السُّنة وخاصّة فيما يتعلق بالفقه الإسلامي نما وبدا في منتصف القرن الثاني الهجري، ومن جانبه يرى جيمس روبسون أنَّ أنَّ بداية الحديث وروايتها بالأسانيد يرجع إلى القرن الثَّاني الهجري ففي هذه المرحلة الزَّمنيّة بدأ الفرق والأحزاب والمذاهب بوضع الأحاديث وتركيب الأسانيد لها لتأييد عقائدهم وآرائهم ومذاهبهم الفقهيَّة

استند المستشرقون في آرائهم على بعض أدلة في ظاهرها قوية ولكن عند التأمل والفحص والتَّنقيب لا يكون كذلك ، فمثلاً يعتمدون على الأحاديث الواردة في النَّهي عن تدوين وكتابة السُّنَّة النَّبويَّة في زمن النَّبي –صلى الله عليه وسلم- ولكن عند ما يأتون إلى الأحاديث الواردة في إباحة كتابة السُّنَّة النَّبويَّة ، فيقولون إنّ هذا ما هو إلاّ أثر من آثار منافسة وتسابق أهل الحديث في جانب وأهل الرأي في جانب آخر ، فأهل الحديث يذهبون إلى تدوين وكتابة السُّنَّة لتكون هذه الكتابة دليلاً على صحتها والاعتماد عليها ، وأهل الرأي كذلك... فكلا الفريقين يتسابقان إلى وضع الأقوال المؤيدة لنزعتيهم المتعارضين... على حدّ زعم جولدتسيهر (أسود، 2008، 626).

حاول المستشرقون عن طريق إثارة الشبهات حول قضيَّة كتابة السُّنَّة وتدوينها ، سواء بنفي الكتابة مطلقاً ، أو تأخرُّها ، أو التشبُّث بأحاديث النَّهي عن الكتابة ، أو تقرير الكتابة ذات الدوافع المتنوِّعة من الإجبار أو التَّنافس في التَّدليل على المذهب أو

غيره ، مما يعضِّدُ تشكيك المستشرقين في صحَّة الحديث ، ويؤيِّدون قولهَم بوضعه أو بوضع معظمه ، والذي يتتبَّع ما وُجِدَ في دواوين السُّنَّة يجـزم بأنَّه لم يخلُ عصر من عصور المسلمين من كتابة الحديث وتدوينه ، بـدءًا بعصر النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم- فما بعده إلى نهاية عصر التَّدوين الرّسمي للسُّنَّة النَّبويَّة.

2.2. آراء القرآنيين حول تدوين السُّنَّة

تعدُّ قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة من القضايا التي ركّز عليها القرآنيُّون ليجعلوا منه مخرجاً وباباً واسعاً للطّعن في السُّنَّة النَّبويَّة وردّها بحجة أنّها لم تدّون إلاّ بعد قرون من وفاة النَّبي –عليه الصلاة والسلام-، ولو كانت السُّنَّة وحياً وشرعاً لما تُرك تدوينها بل أمر الرّسول –صلى الله عليه وسلم- بكتابتها وحفظها وتدوينها كما صنع بالقرآن الكريم . يقول عبد الله جَكرالَوي : " لم تدوّن السُّنَّة أيام حياته –عليه الصلاة والسلام- وتناقلت سماعاً إلى القرن الثالث الهجري ، وإذا كان سامعونا لا يستطيعون ذكر ما تحدثنا عنه في خطبة الجمعة الماضية فكيف بسماع مأة سنة وصحّة بيانه " (بخش، 2000، 243). ويؤكد هذا حشمت علي فيقول : " إنّ الصِّحاح الستة التي يفتخر بها ، والتي يقال بحاجة القرآن إليها كل تلك الكتب جمعت ودوّنت في القرن الثالث حسب إقرار المحدّثين " (برويز، 1977، 41).

يرى محمود أبو ريّة بأنّ رواية الحديث كان معتمداً على مجرد الحفظ طوال عصر الصَّحابة والتّابعين ولم يدوّن الحديث إلاّ في أواخر عهد التّابعين سنة مأة وخمسين الهجرية ، ولم يدوّن في حياة الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- ولا في حياة الصَّحابة بل ولا في عهد أكثر التّابعين وإنمّا دوّن بعد ذلك (أبو ريّة، 2004، 270) . واتَّهمُ النَّبي –عليه الصلاة والسلام- وأصحابه بأنّهم لو اعتنوا بالسُّنَّة النَّبويَّة وكتابتها لما وصل الأمر إلى هذا الحدّ الذي وصل إليه ، ولجاءت السنة كلها بشكل متواتر لفظاً ومعناً ، وليس فيها شيء اسمه الحديث الصحيح أو الحسن أو الضعيف، وكان بذلك يرتفع الخلاف ولم يحتاج العلماء إلى البحث والتّحري في ثبوت الأحاديث من عدمها (أبو ريّة، 2004، 255) .

فهو يرى بأنَّ سبب ضياع الحديث وكثرة الوضع والاختلاف فيه هو عدم وروده بطريق التواتر ، وسبب عدم وروده بتواتر هو عدم كتابته في عصر النَّبي –صلى الله عليه وسلم-، وهذا كلام باطل من أوجه عديدة ، أولاً َ إنَّ عدم كتابة الحديث ليس سبباً لعدم وروده متواتراً . وثانياً لا يلزم لقبول الحديث والعمل به أنْ يكون متواتراً . وثالثاً كانت كتابة الحديث موجودة حتى في عهد النَّبي –صلى الله عليه وسلم- وإنْ كانت بشكل بدائي ومحاولات فردية –كما سيأتي .

وذهب توفيق صدقي إلى أنّ تأخير تدوين السُّنَّة النَّبويَّة دليل على عدم حجيتها ولو كانت حجَّةً ودليلاً كالقرآن لتكفّل النَّبي –عليه الصلاة والسلام- بحفظها ، ولكنه يرى بأنَّ الثابت عن الرَّسول هو منع الكتابة وعلى هذا استقرّ الصَّحابة والتّابعون. ويزعم صدقي أنّ السُّنَّة النَّبي كانت متعلقة وخاصة بمَن كانوا في زمنه وعصره –عليه الصلاة والسلام-، وأنَّ السنَّة لو كانت شريعةً عامة لكل النّاس لبذل النَّبي وأصحابه الوسع في حفظها وضبطها ونشرها بين الجميع ، ولما وجد من بينهم متكاسل أو متوان أو مثبِّط لهم . ويزعم أنّ عدم كتابة شيء من السنة إلاّ بعد عصره –صلى الله عليه وسلم- بمدةٍ طويلة كافٍ في حصول الاختلاق والتَّلاعب والفساد الذي حدث في المرويات (الشربيني، 2002، 366).

هكذا نرى أنَّ القرآنيين يذهبون إلى القول بتأخّر تدوين السُّنَّة النَّبويَّة وعدم كتابتها في عصر الرَّسول –عليه الصَّلاة والسَّلام- وأنَّها بقيت ما يقارب مأتي سنة من دون كتابة وتدوين ، وهذا دليل على عدم أهمّيّة وعدم ضرورة الأخذ فيما سميّ بالأحاديث النبويَّة وذلك لأنّ الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- نفسه نهى عن كتابة أحاديثه وكذلك فعل أصحابه من بعده ولم يهتمّوا بكتابتها وتدوينها وتوثيقها كما فعلوا مع القرآن الكريم ، وهذا حجة قطعية في عدم الإعتماد عليها والأخذ بها ؛ ولو كانت السنّة حجة في الدِّين وشريعة ملزمة لأمر الرَّسول أصحابه بكتابتها وحفظها والإهتمام بها .

2.3. الأثر الاستشراقي على القرآنيين في قضيَّة تدوين السُّنَّة النَّبويَّة

بعد أنْ عرضنا آراء المستشرقين والقرآنيين حول قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة فإنّنا نرى الأثر الاستشراقي على القرآنيين بشكل جلي وفي نطاق واسع . يرى القرآنيون أنّ تأخر تدوين الحديث كان سبباً لانتشار الوضع وكثرة الكذب في الحديث وعدم القدرة على تمييز الصحيح من السقيم ، وهذا هو الذي ذهب إليه المستشرقون من أنّ تأخر التَّدوين قد فتح الباب أمام المسلمين وأعطاهم فرصةً ليزيدوا وينقصوا من الأحاديث النَّبوية ، وحتى وضعوا أحاديث لخدمة أغراضهم ولتأييد آرائهم ومذاهبهم . وإذا قارننا بين ما يقوله المستشرقون وبين ما يتبناه القرآنيُّون نجد أنَّ التيار القرآني اعتمد على شبهات المستشرقين وأقوالهم وتحليلاتهم ، مثلاً لو قارننا ماقاله توفيق صدقي بما قاله جولدتسيهر في كتابه دراسات محمدية عن قضية التَّدوين ووجود الخلاف بين المجيزين والرافضين للكتابة نجدهما متطابقين ، فيقول جولدتسيهر : " إنّ الجميع متفقون على أنّه لا يمكن إنكار أنّ تدوين

الأحاديث كان له خصوم . وهذه الكراهيَّة للكتابة لم تكن موجودة منذ البداية ولكنها نشأت بسبب التَّحامل الذي ظهر فيما بعد... وللفريقين آرائهما الخاصة ، وقد سيقت في صورة أحاديث نبوية... ولكن أتباع هذين الرأيين قاتل بعضهم بعضاً بطرق أخرى أيضاً ، في عبارات مستقلة ، وقصائد ساخرة ، وهلّم جراً " (جولدتسيهر، 2009، 270) . ويتفق القرآنيُّون جميعاً على تأخّر تدوين السُّنَّة وأنّ هذا أعطى فرصةً لتحريف السُّنَّة ووضع الأحاديث باسم النَّبي –صلى الله عليه وسلم- وعلى رأسهم جمال البنا، أحمد صبحي منصور، حسين أحمد أمين ، إسماعيل منصور ، حسن حنفي وغيرهم (أسود، 2008، 627)

استند القرآنيُّون في آرائهم حول تدوين السُّنَّة على ما قاله المستشرقون بل لا توجد فرق كبير بين آرائهم في هذه القضيَّة ، فالقرآنيُّون ينفون كتابة السُّنَّة في عصر النُّبوَّة ويردّدون أنّ السُّنَّة بقيتْ أكثر من مأة سنة بعيداً عن التَّدوين والكتابة ، فيقول أبو ريّة: " تبيَّن لك فيما تقدَّم أنَّ أحاديث رسول الله –صلوات الله عليه- لم تدوَّن في حياته ولا في عصر الصَّحابة وكبار تابعيهم ، وأنّ التَّدوين لم ينشأ إلاّ في القرن الثاني للهجرة في أواخر عهد بني أميَّة ، وأنّه لم يتخذ طريقاً واحداً بل تقلب في أطوار مختلفة " (أبو ريّة، 2004، 279) . فيُردّد هنا أبو ريّة نفس مزاعم المستشرقين ، وعند التَّأمُّل في استدلال المستشرقين والقرآنيين بهذه الشبهة والإدعاء نجد فيه عدداً من والإشكالات والأخطاء، من أبرزها :

1 ـ قصر التَّوثيق في الكتابة فقط ، وإغفال وسائل التَّوثيق الأخرى الموجودة في ذلك العصر .

2 ـ الجهل الكبير بصور ومجالات الإهتمام بالأحاديث النَّبويَّة في عصر النّبوَّة وبعدها .

3 ـ عدم الإقرار بوجود التَّدوين والكتابة المبكِّرة للأحاديث النَّبويّة .

4 ـ الزعم والتَّصور الخاطئ لآلية كتابة وتدوين أصحاب الكتب السُّنَّة المشهورة في القرنين الثاني والثالث .

يعتقد المستشرقون والقرآنيّون وجود مرحلة زمنيّة طويلة من الإهمال والتَّقصير في كتابة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها ومرّت عليها 150 سنة أو 200 سنة بدون كتابة أو تدوين ، ثمَّ جاء المصنِّفون من أصحاب كتب السنَّة المشهورة كالبخاري ومسلم وغيرهما فألّفوا مؤلّفات خاصّة في جمع الأحاديث وروايتها بأسانيدها ، فهم يفترضون بأنَّ أصحاب هؤلاء المصنَّفات الحديثيّة قد تعاملوا مع مجموعة غفيرة من الرِّوايات التاريخية المختلقة وغير الموثوقة ، ومن ثمَّ أودعوها في كتبهم الموجودة الآن بين يدي المسلمين ، ولكنّ هذا التصوّر والاعتقاد في غاية المفارقة والبعد لواقع رواية الحديث وكتابتها وتدوينها ، فلم يهمل الصَّحابة والتابعون وأتباعهم وأئمة المسلمين الأحاديث الشريفة بل حفظوها وكتبوها واحتاطوا في تثبيتها وروايتها جيلاً بعد جيل حتى عصر التَّدوين الرَّسمي.

إنَّ معرفة طرق رواية السُّنَّة النَّبويَّة وآليّة توثيقها بعد وفاة الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- ، والاطّلاع التفصيلي والشامل على طريقة رواتها في كيفية التَّحمل والأداء ، وفهم أسس وقواعد المحدِّثين بشكل دقيق ، ومعرفة مظاهر وصور العناية المبكّرة بالسُّنَّة النَّبويَّة يبطل جميع مزاعم وشبهات المستشرقين والقرآنيين في هذه المسألة ، وبدون معرفة هذه التَّفاصيل والوقائع فإنَّ الطّعن في السُّنَّة والإفتراء عليها بدعوى تأخر تدوينها إنما هو طعن وافتراء متعجل وغير علميّ ، مبني على تصور خاطئ للسنّة وطريقة توثيقها (السيد، 2017، 96).

ومن نماذج تأثرهم بالمستشرقين ما قاله زعيمهم في هذا العصر أحمد صبحي منصور : "والذين جمعوا الحديث وقاموا بِتَنْقِيَتِهِ ووضع الأسانيد له ، أصدروا قراراً بأنَّ الصَّحابة كلّهم عدول فوق مستوى الشبهات ، ثم لم ينظروا في متن الحديث ومنطوقه وهل يتفق مع القرآن أم لا ؟ ونحن وإنْ كنّا نعتبر القرآن هو المصدر الوحيد لسنة النَّبي ، وشريعة الرَّحمن ، ودين الله الأعلى ، فإنّنا نضع تلك الرِّوايات الحديثية موضعها الصحيح ، وهي أنّها تاريخ بشري للنَّبِيِّ وللمسلمين ، وصدى لثقافتهم وأفكارهم سواء اتفقت أم لم تتفق مع القرآن" (منصور، 2012، 107) . فهذا الذي يقوله أحمد صبحي منصور ليس إلاّ تكراراً لما قاله جولدتسيهر بأنَّ القسم الأكبر من الحديث ليس إلاّ نتيجة للتطور الدِّيني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول ، والثاني ، وأنَّه ليس صحيحاً مايقال من أنَّه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة ولكنه أثر من آثار جهود النضوج" (جولدتسيهر، 1946، 49) .

وفي ظلّ ما بيَّناه وأوردناه من آراء المستشرقين والقرآنيين نرى أنّ موقف القرآنيين لا يتعدّى عن كونه نسيجاً ومستنسخاً من موقف المستشرقين في قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة ، وهو الميدان الأكبر الذي يستند إليه المستشرقون والقرآنيُّون لإبطال مشروعية السُّنَّة النَّبويَّة وإنكار ثبوتها التاريخي ، فيرون تأخُّر تدوينها وأنَّها لم يدوّن في الصحف ، ولم يكتب في كتب إلاّ بعد مرور مأة عام على الأقلّ من وفاة النَّبي –صلى الله عليه وسلم- وبالتالي تتلاشى مصدرية السُّنَّة وحجيتها ومكانتها في جميع الجوانب العقدية والتشريعية والسلوكية.

3. تدوين السُّنَّة النَّبويَّة وكتابتها بين النَّهي والإجازة

بعد ما ذكرنا آراء المستشرقين والقرآنيين في قضية تدوين السُّنَّة النَّبويَّة ، والشبهات التي أثروها حول هذه المسألة والتأثر الكبير الذي وقع فيه القرآنيُّون بما قاله المستشرقون في هذه المسألة ، فلا بدَّ إذاً من وقفة مع هذه الشبهة وتفنيدها وخاصة فيما يتعلق بالأحاديث الواردة في النَّهي عن كتابة الحديث والأحاديث الأخرى التي أذنت بإباحة كتابة الحديث الشريف . لا شكّ بأنّه ورد النَّهي عن كتابة الحديث في بعض أحاديث شريفة وآثار مروية عن بعض الصَّحابة والتّابعين وغيرهم ، ومن ذلك :

1- حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- قال إنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: " لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي ، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ ... " (صحيح مسلم، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ، برقم : 7435 ، 1344) . وهذا الحديث مع أنّه رواه الإمام مسلم في صحيحه وغيره إلاّ أنّ أهل العلم اختلفوا في رفعه ووقفه ، فقال العلاّمة ابن حجر العقسلاني نقلاً عن الإمام البخاري وغيره من أهل العلم أنّهم قالوا الصواب وقفه على أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- (ابن حجر، 1988، 208/1). ومن العلماء الذين أعلّ هذا الحديث بالوقف الإمام أبو داود السجستاني كما في تحفة الأشراف ، قال : "وهو منكر ، أخطأ فيه همّام ، هو من قول أبي سعيد " (المزي، 1983، 408/3) . وقال الخطيب البغدادي : "ويقال أنّ المحفوظ رواية هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري من قوله ، غير مرفوع إلى النَّبي –صلى الله عليه وسلم-" (البغدادي، 1974، 32).

2- حديث زيد بن ثابت أنّه دخل على معاوية فسأله عن حديث فأمر إنساناً يكتبه ، فقال له زيد " إنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أمرنا ألاّ نكتب شيئاً من حديثه ، فمحاه " (سنن أبو داود، كتاب العلم ، باب في كتاب العلم ، برقم : 3647 ، 5/ 490) . وهذا الإسناد ضعيف لأنّه منقطع ، فإنّ المطلب بن عبد الله بن حنطب لم يسمع من زيد كما في جامع التَّحصيل (كيكدي، 1986، 281).

لقد ذكر الخطيب البغدادي عن مجموعة من الصَّحابة عدم الإذن بكتابة الحديث وكراهيتهم لذلك من أمثال أبو سعيد الخدري ، وابن مسعود ، وأبو موسى الأشعري ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبو هريرة – رضوان الله عليهم- ، ونقل ذلك عن مجموعة من التّابعين منهم: عبيدة بن عمرو السلماني، ومحمد بن سيرين، والأعمش، والضحاك، وإبراهيم النخعي (البغدادي، 1974، 36 ومابعدها).

وفي مقابل هذا وردت مجموعة من الأحاديث الشَّريفة التي فيها الإذن بكتابة الأحاديث وتدوينها ، وقد ثبت أنّ بعض الصَّحابة الكرام كانت لهم صحف ومدوّنات خاصة ، ومن تلك الأحاديث والأقوال ما يأتي :

1- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنه- قال : كنتُ أكتبُ كلَّ شيءٍ أسمعُه من رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم- أُريدُ حفْظَه ، فنهتْني قريشٌ ، وقالوا : أتَكْتبُ كلَّ شيءٍ تَسمَعُه من رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، ورسولُ الله –صلى الله عليه وسلم- بَشَرٌ يتكلّمُ في الغضَبِ والرِّضا، فأمسَكتُ عن الكتاب ، فذكرتُ ذلك لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- ، فأومأ بإصبَعِه إلى فيهِ ، فقال : "اكتُبْ ، فوالذي نفسي بيدِه ، ما يَخرُجُ منه إلاّ حقٌّ " (سنن أبي داود ، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، برقم: 3646، 5/ 489).

2- حديث أبو هريرة –رضي الله عنه- قال : " مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي –صَلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ " (صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، برقم : 113 ، 1/ 34).

3- حديث أبو هريرة –رضي الله عنه- قال : "... فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ –صَلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ". (صحيح البخاري ، كتاب اللُّقطة ، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ، برقم : 2433، 5/ 439).

إضافةً إلى هذه الأحاديث فقد ثبت أنَّ بعض الصَّحابة –رضي الله عنهم- كانوا لهم صحف خاصة ، يكتبون فيها الأحاديث النَّبوية ، من ذلك : كتاب سعد بن عبادة وكان عند سعد بن عبادة الأنصاري كتاب أو كتب فيها طائفة من أحاديث النَّبي –صلى الله عليه وسلم- ، وروى الإمام البخاري أنَّ هذه الصَّحيفة كانت نسخة من صحيفة عبد الله بن أبي أوفى الذي كان يكتب الأحاديث بيده في عصر النَّبي –صلى الله عليه وسلم-(صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الصبر عند القتال ، برقم : 2833 ، 523). وكذلك صحيفة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه- والتي فيها فرائض الصَّدقة ، أعطاها لأنس لما بعثه إلى البحرين (صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب زكاة الغنم ، برقم : 1454 ، 269).

وكذلك صحيفة أبي هريرة –رضي الله عنه- وهي الصَّحيفة " الصَّحيحة " التي كتبها همّام بن منبه عن أبي هريرة ، وتُعرف بصحيفة همّام بن منبه ، لأنّ لأبي هريرة صحفاً عدة كتبها عنه غير واحد ، لم يصلنا منها غير هذه (العمري، 1984، 296)، وعدد أحاديثها قرابة المائة والأربعين حديثاً . وهذه الصحيفة قد عثر على نسختين منها الدكتور محمد حميد الله ، وقام بتحقيقها ونشرها ، وكذلك حققه ونشره علي حسن علي عبد الحميد ، وتزداد الثقة بهذه الصحيفة أكثر لأنّ الإمام أحمد بن حنبل نقلها

بتمامها في مسنده ، ولايختلف رواية الإمام أحمد مع النسخة المخطوطة –المطبوعة الآن- إلاّ في أشياء قليلة جداً ، كما نقل عدداً كثيراً من أحاديثها الإمام البخاري في صحيحه في أبواب مختلفة.

وتكمن القيمة العلميَّة والتاريخية لهذه الصحيفة في أنّها دليل ساطع ، وحجة قاطعة على أنّ السنة النَّبوية كانت قد دوّنت في زمن مبكّر... ذلك لأنّ الإمام همام لقي أبا هريرة – ولا شكّ في أنّه كتب عنه – قبل وفاته ، وقد توفي أبو هريرة سنة (58) أو (59)هـ ، فمعنى ذلك أنّ هذه الصّحيفة الحديثية قد دوّنت قبل سنة (58)هـ، أي في منتصف القرن الأول الهجري (العجاج، 1980، 352)، وهي بذلك تصحّح الخطأ الشائع أنّ السُّنَّة لم تدوّن إلاّ في أوائل القرن الثاني الهجري .

بعد هذا العرض للأحاديث التي وردت في النَّهي عن الكتابة، والأحاديث التي فيها الإذن بالكتابة نرى بأنّ هذه الأحاديث قد تضمنت أمراً مطلقاً ونهياً مطلقاً فحصل التَّعارض الظاهر بينها ، ولقد اختلف أهل العلم في توجيه هذه الأحاديث فذهبوا مذاهب شتى في كيفية توجيه هذه الأحاديث ، وجمع الإمام ابن حجر العسقلاني الأقوال الواردة في كيفية التوفيق بين أحاديث النَّهي وأحاديث الإذن ، فقال: " والجمع بينهما: أنَّ النَّهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره والإذن في غير ذلك ، أو أنَّ النَّهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد والإذن في تفريقهما ، أو النَّهي متقدم والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس ، وهو أقربها مع أنّه لا ينافيها ، وقيل النَّهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ والإذن لمن أمن منه ذلك "(- (ابن حجر، 1988، 208/1)).

بناءً على ما تقدم يتبيَّن لنا أنّه قد تمَّ تدوين أشياء كثيرة في عهد النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم- بأمره أو إذنه ، ولا مجال لإنكارها أو تجاهلها إلاّ أنّها لا تعدو كونها كتابات خاصة أو شخصية لبعض الموضوعات أو بعض الأشخاص ، وأنّها لا تمثل إلاّ جزءاً يسيراً بالمقارنة إلى ما نقل شفاهاً ، إذْ كان الاعتماد في نقل الحديث وتداوله على الحفظ و الرواية الشفوية ، لأنّ الصَّحابة لم يكونوا بحاجة إلى تدوينه بفضل ما وهبهم الله إياه من قوة الحافظة وصفاء الأذهان . وبهذه الأدلة والأقوال مجتمعة لا يبقى لدعوى المستشرقين والقرآنيين في أنّ السُّنَّة النَّبويَّة لم تدوَّن إلاّ في عهود متأخرة بسبب نهي الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- عن تدوين الحديث أي حظ من دليل ثابت أو حجة قويَّة . وبالتالي فإنّ ما رامو التَّوصّل إليه من الطّعن في الأحاديث النَّبويَّة وتضعيف أسانيدها مبنيّ على أساس خاطئ وفهم سقيم ، وتصوّر ناقص لواقع الرِّواية وتوثيق السُّنَّة وحفظها وتدوينها .

3.1. العنَّاية بالسُّنَّة النَّبويَّة عبر المراحل الزَّمنيَّة

لقد تقدَّم أنّ المستشرقين والقرآنيين بعد ما بنَوا شبهات حول قضية تأخير تدوين السُّنَّة وكتابتها وأثاروا الكثير من التَّساؤلات حول مصداقيَّة السُّنَّة وعدم صلاحيتها للاستدلال بها والاعتماد عليها ، فمن بين الشبهات التي أثاروها قولهم: أنّ السُّنَّة النَّبويَّة لم تكن محل عناية وتوثيق واهتمام من قِبَلِ الصَّحابة والتّابعين بل كان النَّبي يوجههم إلى القرآن الكريم وحده ، ولذلك نهى –صلى الله عليه وسلم- عن كتابة الحديث وأمر بالتَّركيز على القرآن الكريم وحده .

يقول المستشرق ألفريد جليوم : "لا يستطيع أحد أنْ يجزم بأنَّ الأقوال التي تناقلها الرُّواة هي فعلاً أقوال محمد –صلى الله عليه وسلم- ، ولا يستطيع أحد أنْ يميّز أقـوال محمد –صلى الله عليه وسلم- عن أقوال الصَّحابة وأقوال التّابعين ، لأنَّ جميع تلك الأقوال متضاربة ومختلطة بعضها ببعض ، ونجد أنَّ الكثير من أقوال الصَّحابة أنفسهم كان قد أصابها التَّـزوير والتَّحريف مِن قِبَلِ مَن تبعوهم من المسلمين... بل إنَّ تلك الأقوال هي أقـوال مزوّرة ومنسوبة لمحمـد –صلى الله عليه وسلم- وهي تشمل كثيراً من الأقوال العربية وغير العربية..." (الخليفة، 1997، 78) . والقرآنيُّون أعادوا نفس هذه الشبهة ، فيقول غلام أحمد برويز : " لو كانت السُّنَّة جزءاً من الدِّين لوضع لها الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- منهجاً كمنهج القرآن ، من الكتابة والحفظ والمذاكرة ، ولا يفارق الدنيا إلاّ بعد راحة بال على هذا الجزء من الدِّين ، لأنّ مقام النُّبوة يقتضي أنْ يعطي الدِّين لأمته على شكل محفوظ ، لكنَّه – صلى الله عليه وسلم- احتاط بكل الوسائل الممكنة لكتاب الله ، ولم يفعل شيئاً لسنته ، بل نهى عن كتابتها " (بخش، 2000، 243).

والآن فالنستعرض جهود الصَّحابة والتّابعين وأتباعهم وأئمة المسلمين وعنايتهم بالسُّنَّة النَّبويَّة حفظاً وكتابةً وتدويناً وتطبيقاً وتبليغاً ومنهجاً للحياة . ونبدأ بالصَّحابة الكرام –عليهم رضوان الله تعالى- فهم اللّذين عاشوا مع الرَّسول –صلى الله عليه وسلم- وشاهدوا وقائع التَّنزيل ، ووقفوا على أسرار الوحي ومكارم الشريعة ، وسمعوا أقوال الرَّسول –عليه الصلاة والسلام- ورأوا أفعاله وأعماله وتقريراته . لقد كانت عمل وجهود جيل الصَّحابة هي البناء والأساس الأول في كتابة وتدوين الأحاديث وتوثيقها وإيصالها إلى أبناء الأمة، وكذلك كانت سعيهم وجهودهم هي القاعدة الأساسية في نشر دين الإسلام وتثبيت العقيدة الإسلامية وحماية الأحاديث النَّبويَّة من كل ما يدسّها ويشوبها . ونكتفي بعرض بعض من نماذج هذه المجهودات لأنّ المقام هنا لا يتَّسع لأكثر من

هذا: فمن ذلك الحثُّ والتّشجيع على حفظ الأحاديث النبوية وتثبيت ذلك الحفظ ، حتى كان بعض الصَّحابة يأمر طلابه بالتقييد والكتابة لتثبيت حفظهم ثم يأمروهم بمحو ما كتبوه لكي لا يعتمدوا ولا يتكّل على الكتاب . قال الخطيب البغدادي : "وكان غير واحد من السَّلف يستعين على حفظ الحديث بأنْ يكتبه ، ويدرسه من كتابه ، فإذا اتقنه محا الكتاب ، خوفاً من أنْ يتَّكل القلب عليه فيؤدي إلى نقصان الحفظ وترك العناية بالمحفوظ "(البغدادي، 1974، 58). ومن ذلك أيضاً الكتابة بالأحاديث بعضهم إلى بعض ، ومن أمثلة ذلك كتب أسيد بن حضير الأنصاري بعض الأحاديث النَّبوية ، وقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ، وأرسله إلى مروان بن الحكم (الزهراني، 1996، 76). وكذلك حثّوا تلاميذهم على كتابة الأحاديث وتقييده ، ومن أمثلة ذلك كان أنس بن مالك يشجع أولاده على تدوين العلم فيقول : "يابني قيدوا العلم بالكتاب" ، وكان يقول -رضي الله عنه - : " كنا لا نعدّ علم مَن لم يكتب علمه علماً ". وأخذوا بالاحتياط وتوقِّ الحذر في رواية الحديث ، خشية الوقوع في الخطأ ، وخوفاً من أنْ يتسرب إلى الأحاديث النّبويّة الكذب أو التَّحريف، وهي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم ، ولهذا سلكوا كل سبل ممكنة لحفظ السُّنَّة وإيصالها إلى الأجيال اللاحقة .

لقد أخذ التّابعون –رحمهم الله- الأحاديث النَّبويَّة ، عن جيل الصَّحابة وقاموا بمهمّة نشر وتبليغ الأحاديث النَّبويَّة من بعد أساتذتهم وشيوخهم إلى النَّاس جميعاً ، فكانوا أفضل وأحسن جيل بعد الصَّحابة ، وقد بذل هؤلاء التّابعون في نشر وخدمة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها وحفظها جهوداً كبيرة ، وعملاً موفقاً ، واهتماماً كثيراً . ومن أهم صور اهتمام التّابعين بأحاديث الرّسول – صلى الله عليه وسلم- صحبتهم وملازمتهم للصَّحابة الكرام وحفظهم وضبطهم لمروياتهم ، فنرى أحدهم يصاحب ويلازم الصَّحابي زمناً طويلا ، يسمع منه الأحاديث ، ويضبطها عنه ، حتى تتحصل لديه علماً وافراً وخبرة كثيرة بمرويات هذا الصَّحابي ، حتى أصبحت هناك دوائر من التّابعين المتيقظين محيطةٌ بالصَّحابة المُكثرين من الرِّواية ، ثم نجد دوائر من تابعي التّابعين محيطة بدوائر التّابعين ، وهكذا إلى مرحلة التَّدوين الشامل في مصنفات السُّنَّة (السيد، 2017، 103). وقد تتبع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي أسماء الذين كتبوا الحديث من الصَّحابة والتّابعين وتابعيهم ، وقام بجهد عظيم في هذا الإستقراء والتَّتبع ، ووصل إلى نتائج كبيرة ، ففي طبقة القرن الأول من التّابعين رصد ثلاثة وخمسين ممَن كتبوا الحديث ، أو كُتِبَ عنهم ، وفي طبقة تابعي القرن الثاني تتبع تسعة وتسعين تابعياً ممَن كتبوا ، أو كُتِبَ عنهم (الأعظمي، 1980، 92/1)، وهذا يدلُّ على انتشار كتابة الحديث في زمن التّابعين ، على خلاف ما يدَّعيه المستشرقون والقرآنيون .

ثم جاء دور وعصر أتباع التّابعين الذين كانوا لهم جهوداً محمودة في تدوين الأحاديث والتَّصنيف والتأليف فيها ، يقول ابن رجب :" والذي كان يكتب في زمن الصَّحابة والتّابعين لم يكن تصنيفاً مرتباً مبوَّباً ، إنّما كان يكتب للحفظ والمراجعة فقط ، ثم إنّه في عصر تابعي التّابعين صُنِّفت التَّصانيف ، وجمع طائفة من أهل العلم كلام النَّبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ، وبعضهم جمع كلام الصَّحابة " (ابن رجب، 2001، 347/1).

ممَن صنَّف في هذه المرحلة : ابن جريج المتوفى عام (150 هـ) . ومنهم محمد بن إسحاق : صنَّف في المغازي ، وقد توفي عام (151 هـ) ـ على خلاف في سنة وفاته . وكذلك معمر بن راشد الأزدي : صنَّف الجامع ، وتوفي عام (153 هـ) . وابن أبي عروبة : صنَّف السنن والتفسير ، وتوفي عام (157 هـ) . وكذلك ممَن صنَّف في هذه المرحلة سفيان الثوري ، وحماد بن سلمة ، وغيرهما ، ومن المصنَّفات المشهورة في هذه المرحلة الموطأ للإمام مالك –رحمه الله- (السيد، 2017، 103) .

ثم جاء العصر الذَّهبي للسُّنَّة النَّبويَّة –القرن الثالث الهجري- تصنيفاً ونقداً وتمييزاً وجرحاً وتعديلاً ، ويعتبر هذا القرن عصر الذهبي لازدهار العلوم الاسلامية كافة وعلوم السُّنَّة النَّبويَّة خاصةً ، بل يعتبر هذا القرن من أكبر عصور السُّنَّة النَّبويَّة ونشطت فيه الرِّحلة لطلب العلم والحديث وكثر فيه التأليف في علم الرِّجال ، وتوسع في تدوين الحديث ، فظهرت كتب الصِّحاح والسُّنن التي اعتمدتها الأمّة الإسلامية . وقد ظهر في هذا القرن كثير من الحفاظ والأئمة والنقاد ممَن كان على أيديهم تأسَّس جلُّ علوم الحديث وخاصة علم الجرح والتَّعديل (الزهراني، 1996، 95) .

بناءً على كل ما سبق ذكره من مراحل العناية بالسُّنَّة النَّبويَّة أنّ الطّعن في السُّنَّة بدعوى عدم تدوينها وقلّة الاهتمام بها ينقصه إدراك واقع الرِّواية وطبيعة نقلها ، وحيثيات ذلك ، فكتابة الحديث وتقييده موجود منذ الزَّمن الأول ، والتوثيق الذي قام به المحدِّثون لنقل السُّنَّة النَّبويَّة كان غاية في التثبُّت والتحوّط والأمانة العلميّة ، وبذلك حفظوا السُّنَّة النَّبويَّة ودوّنها وجمعوا المرويات في كتب مستقلة وخدموا هذا التراث العظيم خدمة عظيمةً لم يبلغها أمة من الأمم السَّابقة .

4. الخاتمة

بعد أنْ وصلت هذه الدِّراسة إلى آخر مطافها توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات نلخصها فيما يأتي:

1- كتابة السنَّة النَّبويَّة وتدوينها من القضايا التي كثر حولها الأقوال والآراء قديماً وحديثاً ، وخاصّة من قِبَلِ المستشرقين والقرآنيين ، وجعلوا من هذه المسألة مدخلاً للطّعن في السنّة والتَّقليل من أهميتها والتَّشكيك في مصداقيتها وحجيتها .

2- ذهب القرآنيّون على منوال المستشرقي في قضيّة تأخير تدوين السُّنَّة أكثر من قرنٍ ونصف أو قرنين ، وأنَّ هذا التأخّر كان سبباً لضياع حقيقة السُّنَّة وانتشار الوضع والكذب فيها .

3- الأثر الاستشراقي واضع وجليّ على القرآنيين في هذه المسألة ، وتبنّوا آرائهم وشبهاتهم في هذه القضيَّة وردّدوا كل ما قالوه وكتبوه حول تدوين السنّة وتأخر تدوينها وضياع مصداقيتها .

4- رؤية المسشترقين والقرآنيين وافتراضاتهم حول قضيّة كتابة السُّنَّة النَّبويَّة وتدوينها مخالف وبعيد عن واقع رواية الأحاديث وحفظها، وآلية توثيقها من قِبَل أئمة المسلمين وأعلامهم .

5- وردت أحاديث شريفة تفيد النَّهي عن كتابة الحديث وتدوينها ، وكذلك ورد عن بعض الصَّحابة والتّابعين النَّهي وكراهيتهم لكتابة الأحاديث، ولكن هناك أحاديث أخرى تفيد الإذن وإباحة كتابة الأحاديث ، وجاء عن بعض الصَّحابة والتّابعين كتابتهم للأحاديث وتدوينها ، وهذا أشكل على المستشرقين والقرآنيين فأخذوا بأحاديث وأقوال النَّهي عن كتابة الحديث وخلصوا منه حكماً عاماً بتحريم وعدم جواز تدوين الحديث .

6- لقد اهتمّ الصَّحابة الكرام والتّابعون وأتباعهم وأئمة المسلمين وعلمائهم بتوثيق السُّنَّة النَّبويَّة وحفظها عن طريق روايتها مشافهة وكتابتها أحياناً، وحثّوا على المحافظة عليها، وروايتها للأجيال اللاحقة .

5. المصادر والمراجع

1- ابن حجر ، أ (1988م) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ت: قصي محب الدين الخطيب، ط2، دار الريان- القاهرة.

2- ابن رجب، ع (2001م) **شرح علل الترمذي**، ت: همام عبد الرحيم سعيد، ط2، مكتبة الرشد- الرياض.

3- أبوداد ، س (2009م) **سنن أبي داود** ، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي ،ط1، دار الرسالة العالمية- بيروت.

4- أبو ريّة، م (2004م) **أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث**، ط3، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر- قم.

5- أسود، م (2008م) **الاتجاهات المعاصرة في دراسة السُّنَّة النَّبويَّة في مصر وبلاد الشام** ، ط1، دار الكلم الطيب- دمشق.

6- الأعظمي، م (1980م) **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، ط1، المكتب الإسلامي- بيروت.

7- البخاري، م (2003م) **صحيح البخاري** ، ت : محمود محمد محمود حسن نصّار ، ط3، دار الكتب العلمية- بيروت.

8- برويز ، غ (1977م) **تبليغ القرآن**، ط1، مطبعة علمي- برنتك لاهور.

9- الجندي ، أ (1981م) **السُّنَّة النَّبويَّة في مواجهة شبهات الاستشراق** ، ط1، مكتبة العصرية- بيروت.

10- جولدتسيهر، إ (1946م) **العقيدة والشريعة في الإسلام**، نقله إلى العربية: محمد يوسف موسى – عبدالعزيز عبدالحق – علي حسن عبدالقادر، ط2، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

11- جولدتسيهر، إ (2009م) **دراسات محمدية**، ترجمة : د. الصديق بشير ، ط2، مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق- لندن.

12- الخطيب، أ (1974م) **تقييد العلم**، ت: يوسف العش، ط1، دار إحياء السُّنَّة النَّبويَّة- دمشق.

13- الخليفة، م (1997م) **آراء المستشرق جوزيف شاخت حول حجية السُّنَّة النَّبويَّة من خلال كتابه "أصول الشريعة المحمدية"**، رسالة ماجستير بإشراف: د. عبدالله ضيف الله الرحيلي، قدمت إلى جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية- كلية الدعوة بالمدينة المنورة- قسم الاستشراق.

14- د. بخش، خ. (2000م) **القرآنيون وشبهاتهم حول السنّة**، ط2، مكتبة الصديق- المملكة العربية السعودية.

15- الزهراني ، م (1996م) **تدوين السُّنَّة النَّبويَّة نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري**، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع- الرياض.

16- السيد، أ (2017م) **تثبيت حجية السنة ونقض أصول المنكرين**، ط2، تكوين للدراسات والأبحاث- السعودية.

17- الشربيني، ع (2002م) **السُّنَّة النَّبويَّة في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها**، ط1، دار الكتب المصرية- القاهرة.

18- الصالح، ص (1984م) **علوم الحديث ومصطلحه- عرض ودراسة** ، ط 15، دار العلم للملايين- بيروت.
19- عامري، س (2020م) **الحداثيون العرب والعدوان على السُّنَّة النَّبويَّة- عبد المجيد الشّرفي نموذجاً** ، تقديم : أ. د. الحسين بن محمد شواط، ط3، رواسخ- الكويت.
20- عجاج، م (1980م) **السنة قبل التَّدوين**، ط3، دار الفكر- بيروت.
21- العمري ، أ (1984م) **بحوث في تاريخ السنة المشرفة** ، ط4، دار بساط- بيروت.
22- كيكدي ، خ (1986م) **جامع التحصيل في أحكام المراسيل** ، ت: حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2، عالم الكتب- بيروت .
23- المزي ، ي (1983م) **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف** ، ت: عبد الصمد شرف الدين ، ط2، المكتب الإسلامي.
24- مسلم (2007م) ، **صحيح مسلم**، ت : خليل مأمون شيحا ، ط2، دار المعرفة- بيروت .
25- المطيري ، ح (2002م) **تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين** ، ط1، جامعة الكويت- مجلس النشر.
26- منصور، أ (2012م) **القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي**، طبعة منقحة ، منشور على صفحة أهل القرآن .

کاریگەری خۆرهەڵاتناسان بەسەر قورئانییەکانەوە لە بابەتی نووسینەوەی سوننەتی پێغەمبەر
- خستنەڕوو ڕەخنەلێگرتن-

عبد الوهاب غفور كريم **لقمان صمد خضر**
کۆلێژی زانستە ئیسلامییەکان، زانکۆی سەڵاحەدین- هەولێر

پوختە

ئەم توێژینەوە بابەتێکی زۆر گرنگی لەخۆگرتوە کە ئەویش بریتییە لە بابەتی نووسینەوەو کۆکردنەوەی سوننەتی پێغەمبەر، توێژینەوەکە تەرکیزی کردۆتەوە لەسەر هەڵوێستی خۆرهەڵاتناسەکان و ڕەوتی نەیارانی سوننەت لەسەر ئەم بابەتە و ئەندازەی کاریگەربوونی بە بیروبۆچوون و قسەی خۆرهەڵاتناسەکان دەربارەی نووسینەوەی فەرمایشتەکانی پەیامبەر و هۆکارو دەرەنجامەکانی ئەم دواکەوتنە. خۆرهەڵاتناسەکان بیروبۆچونییان جیاوازە لەسەر ئەم بابەتە بەڵام بە کورتی هەموویان کۆکن لەسەر دواکەوتنی نووسینەوەی فەرمودەکان بۆ دوای سەددەی یەکەمی کۆچی یاخوود دوای نیوەی سەددەی دووەمی کۆچی، زۆربەی قورئانیەکانیش لەسەر ئەمە هاورایانن و هەمان بۆچوون و تێزەکانیان دووبارە دەکەنەوە لەسەر ئەم بابەتە بەبێ گەرانەوە بۆ سەرچاوە تایبەتمەندەکان بۆ زانینی حەقیقەتی ئەم بابەتەو لێکەوتەو ئاریشەو زانینی ڕاستیەکانی بەهۆی کەوتنەژێر کاریگەری و پشتبەستنیان بە بۆچوونی خۆرهەڵاتناسەکان لەسەر ئەم بابەتە. خۆرهەڵاتناس و قورئانییەکان ئەم بابەتەیان کردوە بە دەروازەیەکی مەزن بۆ تانەدان لە حوجیەتی سوننەو پێگەی لە شەریعەتی ئیسلامیدا و گومان خستنەسەر ڕاستییەتی و ئەمانەتداری گێڕەرەوەکانی.

کلیلە وشەکان: کاریگەری ، خۆرهەڵاتناسان ، قورئانییەکان، نووسینەوە، سوننەتی پەیامبەر.

The influence of orientalists on the Quranists in the issue of writing down the Sunnah - presentation and criticism

Abdulwahab Ghafor Kareem **Luqman Samad Khudhur**
College of Islamic Science, Salahaddin University-Erbil

Abstract

This study deals with a very important issue, which is the issue of transcribing the Sunnah as well as the study focused on the position of the Orientalists and the Qur'anic movement in this regard, and the extent to which the Qur'anists were affected by the opinions and sayings of Orientalists about the collecting and writing down of the Prophetic Sunnah. In addition, it explains the reasons for the delay in transcribing the Sunnah and its consequences for them. The opinions of the Orientalists differed on this issue, but they generally agreed that the writing of the Sunnah of the Prophet was delayed, until after the first century or until after the middle of the second century, as the majority of the Qur'anists agreed with them and repeated their opinions on this issue without referring to the competent sources to realize the truth in this regard and its implications, problems, and knowledge of its reality, they are influenced by opinions of orientalists in this matter. The orientalists and the Quranists have based this issue and made it a wide gate to criticize the authenticity of the Sunnah and its position in Islamic legislation as well as they questioned its credibility and the honesty of its narrations.

Keywords: influence, orientalists, Quranists, writing down, the Sunnah.